كاظم سعد الدين: من رواد دراسة الأدب الشعبي في العراق

د. علي مهنا مزعل*

مستخلص

يعدُّ كاظم سعد الدين (١٩٣٢-٢٠٢٢م) واحد من أبرز رواد الجيل الثاني لدراسة الأدب الشعبي في العراق، ومن أهم المحاور التي اشتغل عليها سعد الدين في مجال الفولكلور العراقي، محور الأدب الشعبي؛ الحكايات الشعبية، والأغاني الشعبية، والأمثال، ونداءات الباعة. فمحور الأدب الشعبي ولا سيما الحكايات الشعبية هو ميدان سعد الدين الأبرز؛ إذ اختط لنفسه جهدًا مقارنًا مميزًا في الدراسات العراقية المهتمة بالأدب الشعبي، إضافة إلى اهتمامه بشكل أقل بالمعتقدات الشعبية، والعادات والتقاليد والفنون الشعبية والثقافة المادية، فضلًا عن بعض الترجمات التي تتعلق بالتراث الشعبي العراقي والعربي والعالمي.

لذا يسعى الباحث إلى تقديم وصف تفصيلي لنتاج سعد الدين في مجال الأدب الشعبي العراقي.

Summary

Kazem Saad al-Din (1932-2022 AD) is considered one of the most prominent pioneers of the second generation of studying folk literature in Iraq. The most important topics that Saad al-Din worked on in the field of Iraqi folklore are: Folk literature (folk tales, folk songs, proverbs, and vendors' calls). The focus of folk literature, especially folk tales, is Saad al-Din's most prominent field, as he planned for himself a distinguished comparative effort in Iraqi studies concerned with folk literature, in addition to his less interest in popular beliefs and customs. Traditions, folk arts, material culture, and translations related to Iraqi, Arab, and international folk heritage.

Therefore, the researcher seeks to provide a detailed description of Saad al-Din's work in the field of Iraqi popular literature.

* باحث في الدراسات الشعبية، العراق

الكلمات المفتاحية

كاظم سعد الدين، الفولكلور، الأدب الشعبي، الحكايات الشعبية، الأدب المقارن.

key words

Kazem Saad El-Din, folklore, popular literature, folk tales, comparative literature.

مقدمة

بدأ الاهتمام بالفولكلور بشكل عام والأدب الشعبي بشكل خاص في العراق مع بزوغ مجلة لغة العرب سنة ١٩١١م، وهذا لا يعني أنه لم يكن هنالك من يهتم بالفولكلور قبل هذا التاريخ، ولكنه كان اهتمامًا فرديًّا بعمومه، أما مع مجلة لغة العرب، فإن حركة الاهتمام أصبحت أكثر وضوحًا وأقرب ما تكون إلى عمل مؤسسي، فمع هذه المجلة برز الجيل الأول من المهتمين بالفولكلور في العراق؛ الأب أنستاس ماري الكرملي، وكاظم الدجّيلي، وعبد اللطيف الثنيان، ورزوق عيسى، وغيرهم.

وفي مطلع ستينيات القرن الماضي ومع بروز مجلة التراث الشعبي عام 1963 بإصدارها الأهلي، برز جيل آخر من المهتمين بالفولكلور العراقي، وهو الجيل الذي استطاع أن يؤسس مجلة مختصة بالفولكلور، كما تبلور عن هذا الجيل مركز الفولكلور في وزارة الإرشاد، ثم المركز الفولكلوري في وزارة الإعلام (الثقافة لاحقًا) وغيرها من المؤسسات والقضايا المهمة.

ومن أبرز أسماء هذا الجيل شاكر صابر الضابط، وإبراهيم الداقوقي، وعبد الحميد العلوجي، ولطفي الخوري، وغيرهم. وإلى هذا الجيل ينتمي كاظم سعد الدين الباحث والمترجم العراقي المعروف، والذي سنقف في هذا البحث لنسلط الضوء على اهتمامه بالفولكلور والأدب الشعبي العراقي.

نبذة عن حياته:

ولد الأستاذ كاظم سعد الدين في بعقوبة عام 1932، بعد وفاة والده، انتقلت العائلة إلى بغداد منطقة الكرادة الشرقية، وأكمل دراسته الابتدائية في مدرسة الكرادة الشرقية للبنين، وانتقل إلى الثانوية الشرقية ودرس على يد أكفأ المدرسين في اللغة العربية والتاريخ.

وبعد تخرجه في المدرسة الثانوية، دخل إلى دار المعلمين العالية- قسم اللغّات الأجنبية وبتخصص اللغة الإنكليزية، والفرنسية لغة ثانية- ودَرس على يد أساتذة من أمثال، عبد الهادي

محبوبة، وعبد الكريم الدجّيلي، ومحمد الهاشمي، ونوري جعفر، وعبد العزيز البسام، وعبد الحميد كاظم، وتخرج سنة 1953، وتسلم شهادة التخرج من يد الملك فيصل الثاني.

بدأ الترجمة وهو مايزال طالبًا، ثم واصل عمله في الترجمة من اللغة الإنكليزية إلى اللغة العربية وبالعكس طوال حياته. حتى أُطلق عليّه لقب شيخ المترجمين من قبل كادر وإدارة دار المأمون للترجمة والنشر في أثناء تكريمه سنة 2013م.

عمل الأستاذ كاظم سعد الدين، مدرسًا للغة الإنكليزية في ثانوية الخالص، ونُقِل للتدريس في إعدادية الحلة عام 1959، ثم انتقل إلى إعدادية الكاظمية وسافر مع عائلته للتدريس في المتوسطة الحديثة، وفي مؤسسة المنهل في مدينة جدة في المملكة العربية السعودية. ومن أهم المؤسسات التي عمل بها هي وزارة المعارف (التربية) حيث عمل لمدة 32 عامًا، كما عمل محررًا للقسم الإنكليزي في مجلة التراث الشعبي الصادرة عن دار الشئون الثقافية العامة من سنة 1972 وحتى 2006، ورئيسًا لتحريرها في الفترة من ٢٠٠٤-٢٠٠٦م.

وكان عضوًا في نقابة المعلمين، واتحاد الأدباء والكتاب العراقيين، ونقابة الصحفيين، وجمعية المترجمين العراقيين. توفي كاظم سعد الدين في بغداد يوم الاثنين الموافق الرابع عشر من شباط عام 2022 في إثر تداعيات جائحة كورونا.

سعد الدين والأدب الشعبي:

يبدو أن اهتمام الأستاذ كاظم سعد الدين بالأدب الشعبي العراقي راجع لعدة أسباب؛ ففي إجابة عن سؤال طرحه الأستاذ جبار البهادلي حول المصادر والينابيع الأولى التي تأثر بها ومنحته الحافز في التوجه للكتابة في مجال الأدب والتراث الشعبي؟ أجاب سعد الدين:

"الكرادة الشرقية، كانت المنبع الأول من حيث العادات والتقاليد وحفلات الأعراس والأحزان والمناسبات الدينية والملابس والأمثال، والأدوات المنزلية المتنوعة وطبيعة البيوت البغدادية على نهر دجلة، والمنبع الثاني كانت والدتي التي كانت تحفظ الكثير من الحكايات تقصها علينا كل ليلة، والمنبع الثالث كان قراءتي واطلاعي على الكتب الأجنبية، وترجمتها وهي ما أسهم في الاشتغال في مجال التراث الشعبي"[76].

ويبدو أن المنبع الثالث هو الأكثر حضورًا في تشكل وعي سعد الدين للاهتمام بالتراث الشعبي والأدب الشعبي العراقي.

[76] أرشيف مؤسسة شناشيل، غير منشور.

في عام 1979م، نشر كتابه الحكاية الشعبية العراقية؛ دراسة ونصوص)[77]، وهو أول كتبه المطبوعة في مجال الفولكلور العراقي، وهو أهم وأشهر كتبه في هذا المجال –كما نعتقد–، وإن كان العنوان يحمل مصطلح دراسة، فإنه في حقيقة الأمر يضم أربع دراسات حول الحكايات الشعبية العراقية، والرابعة منها ترجمة لمحاضرة للسيدة دراور عن الحكايات الشعبية في الفولكلور العراقي، وهي دراسات نشرها سعد الدين في مجلة التراث الشعبي العراقية بدءًا من سنة 1972م. وأضاف لها عشرين نصًا لحكايات شعبية عراقية، ليتكون كتابه (الحكاية الشعبية العراقية: دراسة ونصوص)، ولا بد من الإشارة إلى أن النواة الأولى لهذا الكتاب نشرت في مجلة المثقف سنة ١٩٦٢م.

وفي سنة 1983م، صدر كتابه "حكايات كنتر بري"[78]، درس فيه الأثر العربي في حكايات كنتربري. وواصل الجهد المقارن ليصدر له سنة 1992م، كتابه "جحا العربي وانتشاره في العالم"[79]؛ إذ درس أثر نوادر جحا العربية في ثماني ثقافات.

ونشر كتاب "العنقاء ومجمع الطير/ دراسات في الأدب العربي التطبيقي المقارن" عام 1997م[80]، وقد احتوى الكتاب على أربع دراسات، وهي دراسات سبق لسعد الدين نشرها في مجلة التراث الشعبي.

تدوين الحكايات الشعبية:

أما في مجال النصوص، فقد قدّم لنا الأستاذ كاظم سعد الدين مدونته على ثلاث دفعات، تمثلت الدفعة الأولى منها في كتابه: "الحكاية الشعبية العراقية؛ دراسات ونصوص"، ١٩٧٩م. حيث خصص بابًا للحكايات وسمه بعنوان (حكايات شعبية عراقية: الجزء الأول) يحتوي هذا الكتاب على (20) حكاية شعبية. قال في تقديمه لها "قد جمعتُها من منطقة الخالص في محافظة ديالى كما سمعتُها من زوجتي ومن أُناس آخرين. وكذلك من منطقة الكرادة الشرقية كما سردتها لي والدتي. ودونتها بالعربية الميسرة في عام 1957. وليست الحكايات في هذا الجزء هي الوحيدة التي لدي فهناك غيرها أرجو أن تسنح لي فرصة أخرى لنشرها"[81].

---

[77] سعد الدين، كاظم. "الحكاية الشعبية العراقية: دراسات ونصوص" وزارة الثقافة والفنون، بغداد، 1979م.

[78] حكايات كنتر بري، الموسوعة الصغيرة، بغداد, 1983م.

[79] جحا العربي وانتشاره في العالم، الموسوعة الصغيرة، بغداد, 1992م.

[80] العنقاء ومجمع الطير (دراسات في الأدب العربي التطبيقي المقارن)، الموسوعة الصغيرة، بغداد،1997م.

[81] الحكاية الشعبية العراقية: ١٠٧.

والحكايات هي: ست الحسن أو سندريلا بغداد، بنت الشحاذ، الفأس الذهبية، المزمار، العروس وفرعون، ولاية بطيخ، البنَّاء والنقاش، مؤتمر الأشجار، الأقراط، دار العجزة، زوجة الصياد، اللصوص الثلاثة، الهر وبنت الشواك، عيد، أخت البدوي، الفتاة الذكية، حامض اللبن وطيب اللبن، شُكُر وخلف الراعي، أرذل الصفات.

أما الدفعة الثانية فجاءت في كتابه: الياس والياسمين (حكايات شعبية عراقية) ١٩٩٥م[82]؛ إذ لم تسنح الفرصة للأستاذ سعد الدين كما يبدو إلا بعد (16) سنة. وقد احتوى الكتاب (14) حكاية وهي: الطير الأخضر، يا دار يا دار، الغزال، ست الحسن، الإسكندر ذو القرنين والمزمار، العنز والعجوز، جنجل وجنيجل، البنت الصغيرة، الضفدع، العجوز والخروف، الأمير النائم ولعبة الصبر، الفأس الذهبية، الياس والياسمين، السمكة، ماش.

أما الدفعة الثالثة، ففي سنة ٢٠٢٢م، صدر عن دار الشئون الثقافية العامة، كتابه "ليالي بغداد: حكايات شعبية عراقية"[83]، احتوى على أربعين حكاية شعبية عراقية، والكتاب احتوى على معظم الحكايات الشعبية التي نشرها في كتابيه السابقين إضافة إلى حكايات أخرى لم تنشر في كتابيه.[84]
ومما يلاحظ حول تدوين سعد الدين للحكايات:

١. أن المدون لم يذكر لنا عن الراوي الشيء الكثير، فقد اكتفى بأن الرواة هم زوجته ووالدته وأناس آخرون، ولم يقدم المعلومات الأخرى اللازمة.

٢. أن الأستاذ سعد الدين دون الحكايات باللغة العربية الميسرة كما أشار، وهي لغة بعيدة عن اللغة المحكية.

٣. كرر بعض الحكايات في كتبه الثلاثة، مثل: حكاية ست الحسن، الإسكندر ذو القرنين والمزمار، الفأس الذهبية.

---

[82] سعد الدين، كاظم، الياس والياسمين (حكايات شعبية عراقية)، دار ثقافة الأطفال، بغداد، 1995م.

[83] سعد الدين، كاظم، ليالي بغداد (حكايات شعبية عراقية)، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٢٢م.

[84] فضلا عن ذلك فقد دوّن، أغاني الأطفال الشعبية في العراق، معالم مضيئة من التراث الشعبي، ١/ ١٢٩-١٨١. وأمثال بغدادية حديثة مولّدة، معالم مضيئة من التراث الشعبي: ٣/ ٦٧-٨٩.

ومن التراث العالمي ترجم "حكايات هانز أندرسن" في ثلاثة أجزاء، و"حكايات تولستوي" في جزأين، و"أصل الحياة والموت في الأساطير الإفريقية"[85].

تصنيف سعد الدين لأنواع الأدب الشعبي في العراق:

قدّم الأستاذ كاظم سعد الدين في دراسة نشرها سنة 1986م بعنوان "أجناس الأدب الشعبي في العراق"[86]. تصنيفًا موسعًا لأنواع الأدب الشعبي في العراق، فالأدب الشعبي، يضم أنواعًا كثيرة حاول سعد الدين الإحاطة بها وتعريفها بصورة موجزة، سنعرض لها نحن بدورنا بإيجاز، متبعين ترتيبه لها:

أولًا: معجم الألفاظ العامية

ثانيًا: الأساطير:

وهي حكايات الأولين، وتكون على خمسة أنواع: حكايات الآلهة، حكايات أنصاف الآلهة (Myth)، حكايات الملوك، حكايات الأبطال (Legend)، حكايات الأشخاص العاديين.

وهذه الأنواع مبثوثة في الكتب القديمة كالمعاجم والقواميس وكتب التفسير وكتب التاريخ، وقد تداولها الناس، فمنها ما ظل على وضعه ومنها ما تطور، وعن طريقها يمكن تدوين معجم الميثولوجية العربية.

ثالثًا: الحكايات TALES:

وهي على أنواع:

١. **حكايات الجان والخوارق:** ويكون أشخاصها من الكائنات الخارقة، صغيرة أو كبيرة، خيرة أو شريرة، كالعفريت والغول والسعلاة الآفة، والديو والحنفيش والدامي، وقد تظهر بأشكال مختلفة للإنسان.

٢. **حكايات الحيوان FABLE:** وفيها يتصرف الحيوان كالإنسان ويتكلم، وتكون الغاية منها تعليلية أو تعليمية.

---

[85] فضلاً عن ذلك فقد ترجم دراسات ومقالات عدة، ينظر؛ معالم مضيئة من التراث الشعبي: ٣/ ١٤٥-٣٥٨.

[86] معالم مضيئة من التراث الشعبي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠٨م: ١/٣٢-٦٠.

٣. **الحكاية الخرافية FABULOUS TALE:** مثل حكاية ست الحسن والفأس الذهبية وحكايات كثيرة في ألف ليلة وليلة.

٤. **الحكاية المرحة MERRY TALES:** وهي الحكاية التي يقع بطلها في مأزق ويتصرف بما يخالف المألوف والمتوقع نتيجة لما تتسم به الشخصية من بلادة حقيقية أو مفتعلة، مثل: حكايات جحا. ويندرج تحت هذا الصنف: (النكتة JOKE، الطرفة والنادرة ANECDOTE، الحكاية الهزلية، الحكاية الساخرة، الحكاية الماجنة، العبر، المقالب).

٥. **الحكاية الاجتماعية:** هي التي تصور الأوضاع الاجتماعية ونقدها أو مساندتها، كقضايا الزواج وتعدد الزوجات واليتامى والبخلاء والشحاذين وذوي المهن.

٦. **الحكاية البدوية:** وتتناول الحكايات التراثية، وحكايات البطولة والغارات والمعارك والثأر والمنازعات والحب والوفاء والشجاعة واللجوء والاستجارة، وتتجلى فيها الواقعية.

٧. **حكايات اللصوص والشطار والعيارين والظرفاء والفتيان واللعابين المخنثين والحرافيش والزواقيل وغيرهم**، وهي مبثوثة في كتب التراث العربي، وهناك حكايات من التاريخ الحديث والقريب لأمثال هذه الفئات في مجتمعاتنا يتناقلها الناس، وهي كثيرة.

٨. **حكايات أو قصص الأنبياء والأئمة والأولياء والأتقياء:** وهي مستقاة من كتب التراث، وقد حصل فيها كثير من التغيير وتعددت رواياتها.

٩. **حكايات الكرامات والمعجزات Miracle Tales:** وهي متعلقة بالنوع السابق، غير أن تلك القصص غالبًا ما تدور حول سيرهم وحياتهم، أما هذه الحكايات فتدور حول كراماتهم ومعجزاتهم.

١٠. **حكايات الأبطال Hero Tales:** وهم أبطال تاريخيون، وأبطال محليون من ملوك وأمراء وشيوخ وأفراد عاديين برزوا خلال أحداث لقيامهم بمآثر بطولية.

١١. **الحكاية الرعوية:** مثل حكايات البهلول.

١٢. **حكاية الألغاز والمسائل:** وهي حكايات قصيرة جدًّا. ولها أغراض: منها الاختيار ووضع الشخص موضع الإحراج، أو أن لها وظيفة السير والأنساب.

١٣. **حكايات الأمثال:** كثير من الحكايات أصبحت أمثالًا لكثرة ترديدها.

١٤. **السير والأنساب.**

١٥. **الحكايات الشعرية.**

رابعا: الأمثال، والحكم، والأقوال المأثورة.

خامسا: الشعر الشعبي Folk Poetry: هو ما كان متوارثًا لأجيال عديدة، ويكون مجهول المؤلف (وهو غير الشعر العامي أو الشائع VERNACULAR OR POPULAR poetry، المعروف المؤلف المنظوم بلهجة عامية غير فصيحة)، وأنواعه:

١. **الموال:** وهو ثلاثة أنواع. (الرباعي، الأعرج، النعماني).

٢. **المربع:** يتكون من أربعة أشطر، ثلاثة منها بقافية واحدة، ووزن واحد، والرابع يتبع وزن المستهل. وأنواع المربع كثيرة، منها:(الموشح، الميمر، التجليبة، الهوسة، التعازي، السريع، البسيط، شبكها، الهات، النعي).

٣. **الأبوذية.**

٤. **شعر الحرب.**

٥. **المخمّس.**

٦. **الدلع.**

٧. **نظم البنات أو الغناء.**

٨. **اللزوميات.**

٩. **الملمع.**

١٠. **التشطير.**

١١. **البند.**

سادسًا: الغناء:

وأنواعه:

١. **المقام.**

٢. **الموال البغدادي.**

٣. **الغناء الريفي في الجنوب:** (الأبوذية، المربع).

٤. **الغناء الريفي في الشمال والوسط:** (العتابة، النايل، الميمر، المولّية، الهلابة، الشؤم لي، البكرة، الهليّة، التجليبة).

٥. **الغناء البدوي:**(الحداء، الدوحة، السامري، الكصيد).

٦. **أنواع أخرى من الغناء:** (المربع، المونولوك، الموشحات الأندلسية، الأغاني الوطنية).

٧. **الغناء الديني:**(المولد، التعازي، السبايا، المدائح).

٨. **أغاني دورة الحياة:**(التلولي، ترقيص الأطفال، أغاني الختان والولادة، أغاني الزواج، أغاني الوفاة، أغاني الألعاب).

سابعًا: التعثيرات اللفظية أو المعاضلات اللسانية: Torque tween والألغاز Piddles.

ثامنًا: المدائح: (مديح الأنبياء والأئمة الأولياء، مديح الرؤساء أو شيوخ العشائر، مديح الأشخاص العاديين والأصدقاء).

تاسعًا: التمثيل الشعبي.

عاشرًا: نداءات الباعة.

الحادي عشر: الكتابة على السيارات.

الثاني عشر: الكتابة على الجدران.

الثالث عشر: الكتابة على أشياء أخرى:(الحلي. البسط والسجاد. الوشم).

الرابع عشر: (التحية وجوابها، عبارات المجاملة، التهديد والوعيد، السب والشتم، السخرية والتهكم).

الخامس عشر: الأيمان والقسم.

السادس عشر: الأجوبة المسكتة والمفحمة.

السابع عشر: التوجيهات والمواعظ والوصايا.

الثامن عشر: الكتابات الشعبية.

التاسع عشر: الكتابات السحرية (الرقى، والتعاويذ، والأدعية).

العشرون: العقود والمواثيق الشخصية والعامة.

الحادي والعشرون: أدب الرسائل التحريرية والشفوية (الطارش)

الثاني والعشرون: تفسير أسماء الأماكن والأشياء.

الثالث والعشرون: الإعلان ووسائله.

الرابع والعشرون: الخيرة والفأل والقرعة.

الخامس والعشرون: التقويم في حساب الأيام والشهور والفصول والمناسبات.

يمثل تصنيف سعد الدين أوسع وأشمل تصنيف قُدِّمَ لأنواع الأدب الشعبي العراقي حتى يومنا هذا. ولكن كحال أي تصنيف ينجز حول موضوع شائك كالأدب الشعبي لا بد أن يكون مثارًا للاختلاف والجدل. وأول تلك النقاط عدّه للألفاظ العامية جنسًا من أجناس الأدب الشعبي. واللغة كما نرى لا تمثل جنسًا (أو نوعًا) من أجناس الأدب، أي أدب كان فصيحًا أو شعبيًّا، عربيًّا أو أجنبيًّا. فاللغة مادة الأدب وهما متلازمان كوجهي العملة لا ينفصلان أبدًا، فلا أدب بلا لغة ولا لغة بلا أدب. كما جعل الأستاذ سعد الدين (الكتابات الشعبية) منقسمة على ستة أنواع، وكان بالإمكان أن تكون (الكتابات الشعبية) نوعًا جامعًا ينضوي على أنماط عدة، وهي- وفق تقسيمه-:

11. الكتابة على السيارات.

12. الكتابة على الجدران.

13. الكتابة على أشياء أخرى: (الحلي. البسط والسجاد. الوشم).

18. الكتابات الشعبية!

19. الكتابات السحرية (الرقى، والتعاويذ، والأدعية).

20. العقود والمواثيق الشخصية والعامة (كالمحالفات بين القبائل).

هذه الأنواع الستة من الكتابة عند سعد الدين كان بإمكانه أن يجعلها نوعًا رئيسًا واحدًا وهو الكتابات الشعبية، ثم يقسمه إلى الأنماط الستة أعلاه؛ وذلك بالاعتماد على الثيمة الرئيسة لهذه الأنواع وهي الكتابة. كما جعل من التمثيل الشعبي نوعًا من أنواع الأدب الشعبي، بينما يُعدّ نوعًا

من أنواع الفنون الشعبية. وجعل المدائح (النوع الثامن) وحدده بـ(مديح الشعراء. وهو ثلاثة أنواع: مديح الأنبياء والأئمة والأولياء، مديح الرؤساء أو شيوخ العشائر، مديح الأشخاص العاديين والأصدقاء) وواضح من تحديد الأستاذ سعد الدين أن هذا النوع ينتمي إلى النوع الخامس وهو الشعر الشعبي. أما النوع الخامس والعشرون، وهو (التقويم: في حساب الأيام والشهور والفصول والمناسبات) فالتقويم ينتمي إلى المعارف الشعبية وليس إلى الأدب الشعبي. وتقسيمه الشعر والغناء حسب الموضوع والبنية والمكان. وغيرها من الملاحظات التي يمكن أن توجه لهذا التصنيف.

الدراسات المقارنة عند سعد الدين:

قدم سعد الدين أكثر من دراسة مقارنة حول الأدب الشعبي، سنحاول أن نقدم وصفًا دقيقًا لها فيما يأتي:

حكايات كنتربري (1983م):

في كتابه حكايات (كنتربري) الصادر سنة 1983 في بغداد، حاول سعد الدين الوقوف على المصادر والأصول والنظائر العربية لحكايات كنتربري التي ألفها الشاعر الإنجليزي جيفري جوسر (١٣٤٢-١٤٠٠م)، وحكايات كنتربري تتألف من حكاية إطارية تقوم بذكر رحلة يقوم بها (٣٠) حاجًا على ظهور الخيل إلى كنتر بري حيث ينشدون تلقي البركات من القديس الشهير توماس بيكت، ويبدو أن كثيرًا منهم كانوا يعانون من أمراض جلدية وغيرها، وقد كان في نية جوسر أن يقوم كل واحد من هؤلاء الحجاج بسرد حكايتين في الطريق في الذهاب والعودة منها، غير أنه لم يكمل هذا المشروع الضخم، لتصلنا هذه المجموعة حاوية (٢٤) حكاية فقط.

وقد تنوعت حكايات كنتر بري بين حكاية الحب والحكاية الرومانسية والحكاية الخرافية وحكاية القديسين وحكاية المأساة والحكاية المَثَلِيَّة (الوعظية) والحكاية التعليمية وحكاية الحيوان.

وتوقف سعد الدين عند (١١) حكاية من حكايات كنتربري،؛إذ تقوم المقارنة عنده على ذكر راوي الحكاية وتقديم وصف موجز له ثم يقدم ملخصًا لكل حكاية ثم يذكر الحكاية العربية التي يرى أنها تمثل مصدرًا أو أصلًا لحكاية كنتربري.

جحا العربي وانتشاره في العالم، 1992م.

في كتابه "جحا العربي وانتشاره في العالم: دراسة مقارنة" 1992م، يواصل الأستاذ سعد الدين جهده المقارن، فإذا كان في كتابه السابق قد بحث عن الأثر العربي في مجموعة حكائية أوروبية، فإنه

هذه المرة بحث عن الأثر الذي تركته شخصية عربية وما حيك حولها من نوادر في آداب الأمم الأخرى.

والنادرة الجحوية هي خبر قصير مضحك يدور حول شخصية جحا، وقد حظيت النادرة الجحوية بالتدوين بعد أن كانت تتداول شفاها وهو العامل الذي أعطاها سبقًا تاريخيًّا مهمًا على نوادر الشعوب الأخرى. إذ سعى الأستاذ سعد الدين إلى تقصي نوادر جحا التي انتشرت من بيئتها العربية إلى أماكن أخرى مجاورة أو بعيدة. وتقوم طريقته في المقارنة على إيراد النص الأجنبي (غير العربي) ثم إيراد النص العربي من نوادر جحا ليتسنى ملاحظة التشابه والاختلاف بين تلك النصوص. إذ قارن النوادر العربية (الجحوية) بالنوادر الصينية والحبشية والسواحلية والإسبانية والفرنسية والإيطالية واليونانية والألمانية.

وقد توصل الأستاذ سعد الدين إلى نتائج مهمة تمثلت في أن نوادر جحا أقدم من نوادر نظرائه تاريخيًّا، وهي نوادر أصيلة غير دخيلة في الثقافة العربية، ولا منتحلة من أمم أخرى، والنوادر العربية الجحوية قليلة الجزئيات، الأمر الذي يؤكد على أنها تنتمي إلى النمط الشفاهي، بينما النوادر غير العربية النظيرة لنوادر جحا قد تطورت الصيغة الفنية فيها من النادرة التي تلقى شفهيًّا إلى النوع الأدبي المدون، فأضحت أقرب إلى الحكاية المرحة منها إلى النادرة، وهو ما يعد دليلًا على أن النوادر العربية الجحوية هي الأصل الذي أخذت عنه النوادر الأجنبية.

الحكاية الشعبية العراقية المقارنة:

قدَّم سعد الدين أكثر من دراسة حول الحكاية الشعبية في ضوء الأدب المقارن، منها"الحكاية الشعبية العراقية وعلاقتها بالحكايات الأجنبية"، ١٩٧٧م[87]،

"الحكاية الشعبية العربية وأثرها في الحكاية الأجنبية"، ١٩٨٠م[88]،

"الحكاية الشعبية العراقية المقارنة"، ١٩٨٧م[89] .

[87] ينظر: مجلة التراث الشعبي، بغداد، ع٣، ١٩٧٧م: ٣١-٥٢.

[88] ينظر: مجلة التراث الشعبي، بغداد، ع٨، ١٩٨٠م: ٣٧-٦٨.

[89] ينظر: مجلة التراث الشعبي، بغداد، ع ٣، ١٩٨٧م: ١١٢-١٥٠.

يشير الأستاذ كاظم سعد الدين في دراسته "الحكاية الشعبية العراقية المقارنة"[90] إلى أن هناك رؤية ترى بأن الحكاية الشعبية قد تكون ذات أصل واحد وتنشأ في مكان معين وزمان محدد، وتنتشر إلى أماكن أخرى لأسباب عديدة، وقد يكون للحكاية أصول متعددة؛ إذ يرى أن الكثير من حكاياتنا الشعبية ذات أصل قديم لا وجود له في كتب التراث المدونة، وهي حكايات تعود إلى تاريخ العراق القديم، كما أن هناك حكايات تتشابه في عناصرها مع حكايات عربية سوى بعض الاختلاف في بعض التفاصيل التي تقتضيها البيئة والظروف. كما توجد حكايات ذات أصول عربية تراثية كألف ليلة وليلة وكليلة ودمنة والفرج بعد الشدة وأخبار جحا والعقد الفريد وعيون الأخبار والأمالي وعشرات الكتب الأخرى التي ألفها الطبري وابن الأثير والمسعودي والأبشيهي وابن الجوزي وغيرها وغيرهم.

ويبدو أن الأستاذ سعد الدين يعتمد الرؤية الأولى (الأصل الواحد)؛ إذ يرى أن هذه الحكايات قد انتشرت من هذه البقعة من الأرض إلى أنحاء العالم المتباعدة، وقد تجدها بنصها وأسماء أماكنها وأبطالها في الصين أو في إفريقيا، وقد تجدها بشيء من التغيير الذي يتطلبه الواقع الاجتماعي لذلك البلد. وتلعب عوامل الزمان والعادات والتقاليد في الإفادة منها، وإعادة صياغتها بما يناسب عقلية المتلقين الجدد، وتقوم طريقته في المقارنة على تلخيص نص الحكاية في نقاط تخص عناصر تكوينها لتسهل الإشارة إلى نقاط التشابه والاختلاف، إذ وقف عند نماذج عراقية وعربية (من الخليج والجزيرة العربية)، وعالمية متباعدة في نصوص مدونة، وذلك لأجل وضع الحكاية الشعبية العربية على خارطة الحكاية الشعبية العالمية.

وقد تناول في دراسته عشرين حكاية، منها حكاية (ست الحسن/ سندريلا) وهي حكاية منتشرة لدى أغلب شعوب الأرض، وقد دونت في أوروبا في ثلاثمائة وأربعين نصًا في رقعة تمتد من أيرلندا إلى روسيا، وبأسماء متعددة، ففي إيطاليا تسمى "سينيرنتولا"، وفي فرنسا "سندريلون"، وفي ألمانيا "اشينبرودل" أو "اشينبودل"، وفي المجر "بوبلوشا"، وفي روسيا "جيرنوشكا"، وفي إسبانيا "سنيسينتا"، وفي قطلونيا "فينتا فوجس"، ولهذا الاسم علاقة بالرماد في لغات تربو على العشر في أوروبا. وكثير منها أخذ من بيرو الفرنسي، وفي النص العراقي تسمى "ست الحسن"، وفيه تخفيها زوجة أبيها في التنور. ونلاحظ بذلك العلاقة أيضا بالرماد. وفي الصينية تسمى "به هسيين". ويذكر "لين يوتانغ" الذي ترجمها إلى الإنكليزية أن أقدم تسجيل للحكاية في أوروبا قام به "دي

[90] ينظر: معالم مضيئة من التراث الشعبي: ١/ ٣٣١-٤٦٢، وقد نشر هذه الدراسة أول مرة وبذات العنوان، الحكاية الشعبية العراقية المقارنة، في مجلة التراث الشعبي، بغداد، ع ٣، ١٩٨٧م: ١١٢-١٥٠. ولكن بشكل مختصر.

بيرير" عام ١٥٥٨. أما أقدم نص مسجل فقد وجد في الصينية سجله توان شنغ شين الذي توفي عام 863، وقد قصها عليه خادمه العجوز وهو من قبيلة يونغ جو، السكان الأصليين للبلاد. وفي النص الصيني تجد السمة السلافية للحيوان المساعد، والسمة الجرمانية للحذاء المفقود. أما النص العراقي فقد سجلته في أوائل الخمسينيات، وكانت ترويه امرأة عمياء لديها منبع لا ينضب من الحكايات، وقد عقد مقارنة بين النص العربي (العراقي، والكويتي، واليمني، ونص الجزيرة العربية، والموصلي)، والصيني، والفرنسي، والألماني، والإنجليزي. إذ احتوى النص العراقي على (١٥) عنصرا، والكويتي (٢٨)، واليمني (٤٨)، ونص جزيرة العرب (٢٣)، والموصلي (١٢)، والصيني (٢٥)، والفرنسي (٢٣)، والألماني (٢٥)، والإنكليزي (٢٩). ليكشف عن عناصر الحكاية المشتركة:

١. يتيمة.

2. لها زوجة أب وأختان منها.

٣. تساء معاملة الفتاة.

٤. يقام حفل في بيت الأمير أو أحد الأغنياء وتذهب الفتيات.

٥. تتمنى اليتيمة الذهاب.

٦. يساعدها طائر أو يقطينة أو أي شيء آخر على لبس الملابس الفاخرة.

٧. يراها الأمير ويعجب بها.

٨ . عند العودة تفقد حذاءها.

٩ . يقرر الأمير الزواج بصاحبة الحذاء.

10 . يبحثون في جميع البيوت عنها.

11 . يجدونها بقياس قدمها على الحذاء.

١٢. يتزوجها الأمير.

الخاتمة

حاولنا في هذا البحث الوقوف عند علم من أعلام الأدب الشعبي في العراق، وذلك لتسليط الضوء على دوره في دراسة الأدب الشعبي العراقي، إذ وقفنا عند تدوينه للأدب الشعبي العراقي، ووجدنا أنه اهتم بشكل أساسي بتدوين الحكايات الشعبية؛ حيث أخرج ثلاث مدونات في شكل (كتب)، واهتم بشكل ثانوي بتدوين أغاني الأطفال الشعبية والأمثال البغدادية.

كما أنجز سعد الدين تصنيفًا لأنواع الأدب الشعبي في العراق، وهو التصنيف الذي يعد الأوسع لأنواع الأدب الشعبي العراقي، ولم يقدَّم إلى يومنا هذا تصنيف أوسع منه.

كما تبين أن سعد الدين من أوسع الباحثين المقارنين في العراق، فقد أنجز دراسات مهمة في مجال الأدب المقارن الشعبي، وذلك في دراسة حول حكايات كانتربري، وأخرى حول نوادر جحا وآثارها في الآداب الأخرى، وأنجز أكثر من دراسة حول الحكايات الشعبية العراقية والعربية وتأثيرها في الحكايات العالمية.

المصادر

- كاظم سعد الدين، جحا العربي وانتشاره في العالم، الموسوعة الصغيرة، بغداد، 1992م.
- كاظم سعد الدين، حكايات كنتر بري، الموسوعة الصغيرة، بغداد، 1983م.
- كاظم سعد الدين، الحكاية الشعبية العراقية (دراسة ونصوص)، وزارة الثقافة والفنون، بغداد، 1979م.
- كاظم سعد الدين، العنقاء ومجمع الطير (دراسات في الأدب العربي التطبيقي المقارن)، الموسوعة الصغيرة، بغداد،1997م.
- كاظم سعد الدين، ليالي بغداد (حكايات شعبية عراقية) بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٢٢م.
- كاظم سعد الدين، معالم مضيئة من التراث الشعبي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠٨م.
- كاظم سعد الدين، الياس والياسمين (حكايات شعبية عراقية)، دار ثقافة الأطفال، بغداد، 1995م.